

73- ابن زهر: التيسير، ص 160.

74- د. صبحي: علم وظائف الأعضاء العام، ج 2، ص 187 - 188.

75- ابن زهر: التيسير، ص 123 - 124.

76- ابن زهر: نفس المصدر، ص 124.

77- الدكتور محمد عثمان نجالي: الإدراك الحسي عند ابن سينا، ص 85 - 8.

حركة التأليف في غريب الحديث "النهاية في غريب
الحديث والأثر لابن الأثير نموذجاً".

د. عبد القادر سليمان*

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا شك أن للألفاظ اللغوية أثرها في حياة الإنسان، فهي إحدى أدوات التواصل التي يعبر بها عما في الجنان بواسطة اللسان، ويرتقي دور الألفاظ مع تطور الحياة الفكرية وتقدم العلوم، إذ لولاها لما وصلت العلوم والمعارف من السابق إلى اللاحق شيء.

ولما كانت الألفاظ خزائن المعاني وحاضنة المعارف، إذ يفهمها يفهم مدلولها، وتتضح معانيها، كانت مقدمة على المعاني عند العلماء، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير فيما يلزم لمعرفة علم الحديث، حيث قال: "أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه، ولا شك أن معرفة ألفاظه مقدمة في الرتبة، لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عرفت، تربت المعاني عليها، كان الاهتمام ببيانها أولى".

ولعظم أهمية الألفاظ، أعارها علماء العربية عنايتهم من الدراسة والجمع والتصنيف، فكانت بداية المؤلفات اللغوية، تدور حول الألفاظ، ومن هذه المؤلفات كتب "غريب القرآن"، وفي طبعتها كتاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت 68هـ)، الذي عدّ اللبنة الأولى في هذا الباب، ثم توالى التأليف في هذا اللون من اللغة، فعرف كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة، وكتاب غريب القرآن للسدوسي، وكتاب غريب القرآن لابن قتيبة... وسواها.

* أستاذ محاضر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران

وامتد هذا النوع من التأليف اللغوي إلى الحديث النووي الشريف، ويتعلق الأمر بشرح غريب الحديث، فكان منه كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة، وكتاب غريب الحديث للأصمعي، وكتاب غريب الحديث للنضر بن شميل... وغيرها.

فما هي جهود هؤلاء العلماء في تأسيس هذا النوع من الفكر المنهجي الخاص بغريب الحديث؟ ولماذا سُمي أصحاب المصنفات كتبهم "بالغريب" مع أن مادة "غريب" لا تختزن في مضامينها معنى الشرح والتفسير والتوضيح؟ ولإلقاء الضوء على هذا الموضوع، وضعت خطة تحتوي على تمهيد ومطلين وخاتمة.

أما التمهيد: فخصصته للتعريف بمصطلح الغريب.

وأما المطلب الأول: فخصصته للوقوف على حركة التأليف في غريب الحديث.

وأما المطلب الثاني: فخصصته للتعريف بابن الأثير، ومنهجه في "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ثم الخاتمة.

تمهيد: في التعريف بالغريب:

1- المعنى اللغوي: إذا تبعنا نصوص اللغويين نلتصق معاني مادة (غَرِبَ) واستعمالاتها (1)، فإننا نجد "الغريب" هو الذهاب والتخفي عن الناس، وقد غَرِبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرَبًا، وَغَرِبَ، وَأَغْرَبَ، وَغَرَبَهُ وَأَغْرَبَهُ إِذَا نَحَاهُ، وَالغَرَبَةُ وَالغَرَبُ: التَوَيُّ وَالْبَعْدُ، وَالْحَبْرُ الْمَغْرِبُ: الَّذِي جَاءَ غَرِيبًا حَادِثًا طَرِيفًا، وَقِيلَ: " الْعُلَمَاءُ غُرَبَاءٌ " لِقَلْبَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَ الْجِهَالِ، وَالغَرِيبُ هُوَ الْبَعِيدُ عَنِ وَطَنِهِ، وَالغَرِيبُ مِنَ الْكَلَامِ: الْغَامِضُ، وَأَغْرَبَ الرَّجُلُ إِذَا جَاءَ بِشَيْءٍ غَرِيبٍ، وَأَتَى فِي كَلَامِهِ بِالغَرِيبِ إِذَا كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْفَهْمِ، وَشَأْرُ مُغْرَبٍ وَمُعْرَبٍ: بَعِيدٌ، وَغَرِبَتِ الْكَلِمَةُ: غَمِضَتْ، وَتَكَلَّمَ فَأَغْرَبَ: جَاءَ بِغَرِيبِ الْكَلَامِ وَنَوَادِرِهِ، وَكَفَّ مِنْ غَرَبِكَ أَي: مِنْ جَدَّتِكَ، وَفِي لِسَانِهِ غَرِبٌ أَي: حِدَّةٌ، وَنَمَا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ دَلَالَةَ مَادَّةِ " الْغَرِيبِ " تَحْتَصِرُ فِي: الْقَلَّةِ وَالنَّدْرَةِ، وَالْبَعْدِ، وَالْحِدَّةِ.

2- المعنى الاصطلاحي للغريب: ومكانته في مجال علوم الحديث:

غريب الحديث في منهج المحدثين، وهو من المهمات المتعلقة بفهم الحديث والعلم والعمل به. لا بمعرفه صناعة الإسناد (2). ويتعلق الأمر بما وقع في متن الحديث من لفظة غامضة، بعيدة من الفهم لقلّة استعمالها. (3)

وهو فن مهم يقبح جهله للسحدين خصوصاً، وللعلماء عموماً، ويجب أن يتثبت فيه. ويتحرى، ويؤكد الإمام النووي رحمه الله تعالى على صعوبة هذا الفن بقوله: "هو فن مهم، والحوض فيه صعب فليتنحى خائضه، وكان السلف يتبتون فيه أشد التثبت" (4). وقد جاء في الأثر أن الإمام أحمد بن حنبل قد سئل عن حرف منه. فقال: "سلوا أصحاب الغريب، فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن فأخطئ" (5). وقد أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره، إلى وجه الحاجة لهذا الفن، بحيث إن خفي معنى اللفظ احتجج إلى شرح الغريب، وبيان المشكل منه. (6)

ولهذا نجد أنه لم يقدم على شرح غريب الحديث في العلماء المتقدمين الذين افتتحوا هذا الفن إلا من بلغ رتبة الاجتهاد، وأخذ بأكبر الحظ من علوم الرواية والدراية، ورحل، وسمع، وروى، وفقه، ومن ثم يقول الإمام النووي: ولا يفقد منها إلا ما كان مصنفوها أئمة أجلة (7). قال السيوطي شارحاً عليه: "كنجس الغرائب لعبد الغفار الفارسي. وغريب الحديث لقاسم السرقسطي، وافانق للنزحشري، والغريين للهروي، وذيله للحافظ أبي موسى المدني، ثم النهاية لابن الأثير، وهي أحسن كتب الغريب، وأجمعها، وأشهرها الآن وأكثرها تداولاً" (8).

المطلب الأول: حركة التأليف في غريب الحديث:

لهض العلماء منذ وقت مبكر لخدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعددت اتجاهاتهم ومنهجهم العلمية لتحقيق هذه الخدمة، وكانوا يعدّونها من أعظم القربات والعبادات، فكانت لهم المساهمة الفعلية في صناعة المعاجم في إطار التخصص، وقد تميزوا في هذا النوع من الفكر المنهجي بالحذية والتكامل والتواصل.

وعلم غريب الحديث مظهر من مظاهر الجهود الحثيثة التي بُذلت في سبيل بيان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإدراك فقهه ومقاصده.

وقد تحدّث الإمام الخطابي في مقدمة كتابه "غريب الحديث" (9) عن أسباب نشأة الغريب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشار إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نُعِتَ مبلّغاً ومعلماً، فهو لا يزال في كلّ مقام يقومه وموطن يشهده، يأمر بمعروف، وينهى عن منكر، ويُفني في نازلة، والأسماع إليه مُصغية.

وقد تختلف في ذلك عباراته، ويتكرر بيانه، ليكون أوقع للسامعين، وأولو الحفظ والإتقان من فقهاء الصحابة يُرعون كلامه سمعا ويستوفونه حفظا، ويؤذونه على اختلاف جهاته، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدة ألفاظ تحتها معنى واحد.

وقد يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض النوازل ويحضرته أخلاط من الناس، قبائلهم شتى، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلهم يتيسر له ضبط اللفظ وحصره، وإنما يستدرك المراد بالفحوى، ويتعلق منه بالمعنى، ثم يؤذيه بلغته التي نشأ عليها، ويعبر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انتشبت طرفه عدة ألفاظ مختلفة، فوجهها شيء واحد، ولكثرة ما يرد من هذا ومن نظائره، يقول أبو عبيدة: "أعيانا أن نعرف - أو نحصى - غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون جُلَّ حديث نبيهم صلى الله عليه وسلم، وما خفي عليهم منه سألوه عنه، وأزالوا الإشكال عنه، وبعد انقضاء عصرهم، مضى المسلمون فاتحين يُبلغون رسالة الله في الأرض، ومن الطبيعي أن يختلطوا ويختلط أولادهم بالأُمم الأخرى، فتسترج الألسنة، ويغيب عصر الفصاحة، وتضعف سبل المحافظة عليها، مع استمرار الاتصال بالأُمم الأخرى، ودواعي امتزاج الألسنة والشعوب.

وأما عن بداية التصنيف في هذا العلم، فإذا كنا قد وجدنا من ينسب إلى الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما شيئا من ذلك فيما يتعلق بغريب القرآن (10)، فإننا لا نجد من ينسب إليه أو إلى أحد معاصريه أو تلاميذه شيئا في غريب الحديث.

والواقع أن حركة التأليف والمساهمة في تأسيس معاجم شرح غريب الحديث تبدأ من أواخر القرن الثاني الهجري، وقد ترك طائفة من علماء اللغة المتقدمين مصنفات أو شذرات مختصرة فيه، وبعضها كان في ورقات ككتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى، إذ وصفه ابن الأثير بقوله (11): "كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات"، وبعض هذه المصنفات وصل إلى خمسة وأربعين ألف ورقة. كما وصف ابن خلكان كتاب أبي بكر بن الأنباري (12).

وينسب الحاكم النيسابوري (13) إلى النصر بن شمَّيل المازني المتوفى سنة 203هـ أول مصنف في غريب الحديث، ويقول في وصفه: "هو عدنان بلا سماع"، ومن العلماء الذين تركوا مصنفات في هذا الحقل قطرب المتوفى سنة 206هـ، وأبو زيد الأنصاري (14) المتوفى سنة 215هـ.

والأصمعي (15) المتوفى سنة 216هـ، وذكر الخطيب البغدادي (16) أن أول من صنف في هذا الفن هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة 210هـ، ويؤيده في ذلك ليف من المؤرخين، كياقوت (17) وابن الأثير والسيوطي (18).

وقد يكون أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى السلمي سابقا لأبي عبيدة؛ لأنه كان معاصرا ليونس بن حبيب أستاذ أبي عبيدة، إذ يقولون: "إن له كتابا في غريب الحديث ذكر فيه الأسانيد، وصنفه على أبواب السنن والفقه، إلا أنه ليس بالكبير" (19) وكتاب أبي عدنان هذا دليل واضح على أن الاعتماد على الرواية والأسانيد في نقل تفسير الألفاظ كان المنطلق الذي انطلقت منه بواكير المؤلفات في غريب الحديث.

قال ابن الصلاح: "أصل الإسناد أولا خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة، رؤينا من غير وجه عن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه أنه قال: الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء (20) ويُعد كتاب "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلام (21) المتوفى سنة 224هـ أول كتاب وصلنا في هذا الفن، يقول هلال بن العلاء الرقي (22): "من الله على هذه الأمة بأربعة، وعدد منهم: أبا عبيد إذ فسّر غرائب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" وقد حظي كتاب أبي عبيد بتقدير وافر لدى علماء الغريب، يقول ابن قتيبة (23): "وقد كان تعرف هذا وأشباهه عسيرا فيما مضى على طلبة العلم، لحاجته إلى أن يسأل عنه أهل اللغة، ومن يكمل فهمه منهم ليفسر غريب الحديث وفق معانيه وإظهار غوامضه قليل، فأما في زماننا هذا فقد كفي حملة الحديث مؤونة التفسير والبحث بما ألفه أبو عبيد".

يبدأ أبو عبيد كتابه بسند مطول يذكر فيه حديث "زويت لي الأرض فأريت مشارفها ومغارفها" فيتحدث عن معاني مادة "زوى"، وينقل شرحها من كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى الذي تقدمه، ويستشهد بالشعر، ويسرد أقوال العلماء من أمثال: أبي زياد الكلابي وأبي عمرو الشيباني والكسائي.

وقد فتح أبو عبيد منهج البدء بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من غير أن يراعي ترتيبا معيناً في سردها، وقد رواها بالأسانيد، واستغرقت هذه الأحاديث قسما كبيرا من كتابه، ثم أتبعها بالأحاديث المنسوبة للصحابة، فيبدأ بروايات الخلفاء الأربعة من خلال الجزء الثالث (24)

كريمة أو بشعر عربي فصيح، وحاول أن يستدرك على الكتب التي تقدمته، وقد بدأ بتفسير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فالصحابة التابعين، وألحق بها مقطعات من الحديث لم يجد لها في الرواية سندا، وختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام القلة، يقول في مقدمته (35) "ثم إنه لما كثر نظري في الحديث، وطالت مجالستي أهله، وجدت ألفاظا غريبة، لا أصل لها في كتابي أبي عبيد وابن قتيبة، ولم أزل أتتبع مظانها والتقط آحادها، وأضمت نشرها، حتى اجتمع منها ما أحب الله أن يوفق له، ونحوت نحوهما في الوضع والترتيب".

ثم يأتي كتاب "الغريبين" لأبي عبيد أحمد بن محمد العبدوي الحروري (36) المتوفى سنة 401هـ، وهو أحد مصدرين أفاد منهما ابن الأثير في "النهاية"، وقد بدأ بتفسير غريب القرآن، ثم تلى بغريب الحديث وآثار الصحابة والتابعين، وكان ينقل كثيرا عن أئمة الحديث واللغة قبله، وغني بالأسانيد، وكان يأخذ من الحديث اللفظة الغريبة فيفسرها فإن اشتمل الحديث على أكثر من كلمة غريبة ففرق الألفاظ على المواد، ثم مضى يفسر كل غريب في مكانه، وقد رتبها وفق حروف المعجم، وهو أول كتاب وصلنا بنحو فيه مؤلفه هذا المنحى، وقد سبقه إلى ذلك شمر بن حمدويه المتوفى سنة 255هـ، في كتابه "الجيم" الذي قال فيه ياقوت (37): "رتبه على حروف المعجم، ابتداء فيه بحرف الجيم، لم يسبقه إلى مثله أحد تقدمه، وأودعه تفسير القرآن وغريب الحديث".

يقول الحروري (38) في مقدمته: "ونعمل لكل حرف بابا، ونفتح كل باب بالحرف الذي يكون أوله الهززة ثم الباء ثم التاء إلى آخر الحروف"، ويقول (39): "وكنيت أرجو أن يكون سبقي إلى جمعها، وضمت كل شيء إلى لفظه (40) منها، على ترتيب حسن واختصار كاف، سابق، فكفاني مؤونة الذأب وصعوبة الطلب، فلم أجد أحدا عمل ذلك إلى غابتنا هذه".

أما كتاب الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المدني الأصفهاني (41) المتوفى سنة 581هـ، فهو "المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث"، وكان ثاني مصدرين من مصادر ابن الأثير في "النهاية" بعد كتاب "الغريبين" المتقدم، قال ابن الأثير في مقدمته (42): "كان أبو موسى إماما في عصره، حافظا متقنا تُشد إليه الرحال، وتناط به من الطلبة الآمال، ولما وقفت على كتابه وجدته في غاية الحسن والكمال".

وقد استحسّن أبو موسى كتاب الحروري المتقدم، بيد أنه (43) وجد كلمات كثيرة شذت عن

، ثم يبدأ الجزء الرابع بأحاديث الزبير (25)، فطلحة رضي الله عنهما حتى تكمل أحاديث العشرة المبشرين بالجنة، ثم يذكر أحاديث ابن عباس، فخالد بن الوليد رضي الله عنهما وغيرهم من الصحابة، ثم أحاديث الصحابييات (26)، فالتابعين (27)، ويختم كتابه (28) بأحاديث لا يُعرف أصحابها.

أما كتاب "غريب الحديث" لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (29) المتوفى سنة 276هـ، فقد أفاد من صنيع من تقدمه، وبزى ابن قتيبة أنه وجد جملة من الأحاديث عند أبي عبيد مفسرة على نحو مجانب للصواب، فخالفه في تفسيرها، وأورد أحاديث لم يذكرها سلفه، وقد ابتداء بتفسير الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه، ثم شرع في تفسير غريب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلاها أحاديث الصحابة التابعين، ومن بعدهم، وبعض الخلفاء، ثم أفرد بابا لتفسير غريب أحاديث النبیاء، ثم ختم الكتاب بذكر أحاديث غير منسوبة، سمع أهل اللغة يذكرونها ولم يحدد ابن قتيبة ضابط الغريب عنده، بيد أنه كان يُورد أحاديث فيها مشكل وكان يحض على معرفة معناها حتى لا يقع في الصدر عارض الشك فيها.

وقد وصلتنا المجلدة الخامسة من غريب الحديث للإمام أبي إسحاق إبراهيم ابن إسحاق الحربي (30) المتوفى سنة 285هـ، وقد حاول (31) أن يجمع في كتابه بين طريقة الخدثين، وهي جمع الأحاديث على المسانيد، أي: الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق صحابي، وطريقة اللغويين، وهي نظام الثقاليب والمخارج من الخلق، فأول الحرف حروف الخلق، ثم الأقرب فالأقرب، ثم ثقلب الكلمة الثقاليب الستة، وبين المهمل والمستعمل من ثقاليبها، وقد أطال الحربي كتابه بالأسانيد وسوق المتون بتسامها، ولو لم يكن في المتن من الغرابت إلا لفظة واحدة (32).

ثم يأتي كتاب الشرقسني (33) القاسم بن ثابت المتوفى سنة 302هـ "الدلائل في غريب الحديث" وقد بدأ بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة، مقدما الخلفاء، فالعشرة، فالتابعين، وقد أفاد الشرقسني من جهود سابقه، وأورد أقوالهم في تفسير ما يورده من الغريب، وكان من منهجه الاستطراد والابتعاد عن أصل المعنى الذي شرع فيه، أما كتاب "غريب الحديث" للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (34) المتوفى سنة 388هـ، فقد كان يورد الحديث، ثم يتبعه بسنده، ثم يفسر غريبه، ويؤيد تفسيره بحديث آخر أو بآية

المطلب الثاني: منهج العلماء في تأسيس معجمية غريب الحديث - النهاية في غريب الحديث لابن الأثير نموذجاً -

I- التعريف بابن الأثير: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، الموصلي الشافعي، أبو السعادات محمد الدين، المعروف بابن الأثير (50)، و"الأثير" لقب لوالده أبي محمد بن عبدالكريم، وقد اتفق المؤرخون على تحديد تاريخ ولادته بسنة 544هـ، وذلك في أحد الربيعين بجزيرة ابن عمر (51).

ومن شيوخه (52): عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حبة البغدادي، المتوفى سنة 558هـ. وقد قرأ عليه صحيح مسلم بالمرسل (53)، وأبي بكر يحيى بن سعدون المغربي القرطبي، المتوفى سنة 567هـ (54)، وناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان البغدادي، صاحب "الغرة" في شرح اللمع، المتوفى سنة 569هـ (55)، وأبي الفضل عبدالله بن أحمد الطوسي، المتوفى سنة 578هـ (56)، وعبدالمعمر بن عبد الوهاب الحراني، المتوفى سنة 596هـ (57)، وأبي الحزم مكّي بن ريثان الماكسيبي الضري، المتوفى سنة 603هـ (58)، وعبد الوهاب بن سكينه، المتوفى سنة 607هـ (59).

ومن تلاميذه: أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المتوفى سنة 646هـ (60)، والشهاب القوصي إسماعيل بن حامد، المتوفى سنة 653هـ (61)، وقاج الدين عبدالحسن بن محمد شيخ الباجري (62) وروى عنه بالإجازة الشيخ فخر الدين بن البخاري (63)، روى عنه ولده، ولم يُسَمِّه المؤرخون (64).

صفاته:

ذكر المؤرخون للمبارك بن الأثير صفات العلم والفضل والعقل والورع والبر والإحسان، وقد جمع بين التمكن من علوم العربية والقرآن والحديث والفقه، وصنّف في ذلك تصانيف مفيدة، كما كان شاعراً، أنشأ رباعاً بقرية من قرى الموصل، ووقف أملاكه عليه (65)، وكان شافعي المذهب، وقد عرض له مرض كَفَّ يديه ورجليه ومنعه الكتابة، فكان يُحْمَلُ في مِحْفَةٍ، فانقطع في بيته (66).

روى الكتب نازلاً، فأسند صحيح البخاري عن ابن سرايا عن أبي الوقت، وصحيح مسلم عن أبي ياسر بن أبي حبة عن إسماعيل بن السمرقندي عن الثُّنْكِيِّ عن أبي الحسين عبدالغافر، ثم عن ابن سكينه إجازة عن الفراوي، والموطأ عن ابن سعدون، حدثنا ابن عتاب عن ابن عُيَيْث

كتابه "إذ لا يحاط بجميع ما تكلم به من غريب الكلم، فلم أزل أنتع ما فاتته، وأكتب ما غفل عنه"، وذكر في مقدمته أن شرطه في كتابه: الاختصار، إلا إذا احتل الكلام دونه، وترك الاستشهاد بالشواهد الكثيرة إلا إذا لم يستغن عنها، واختار أبو موسى منهج الترتيب الهجائي وفق الحرف الأول، وهو المنهج الذي استقرت عليه المصنفات النالية للهروي.

ويعد كتاب "الفائق في غريب الحديث" لـ جبار الله محمود بن عمر الزمخشري (44) المتوفى سنة 538هـ، من المصنفات المهمة في منهج الترتيب الهجائي وفق الحرف الأول، غير أنه كان يُورد نص الحديث كاملاً، ولا يوزعه وفق حروف كلمات ألفاظه، ومن هنا كان البحث عن الغريب المشود يغتوره بعض العسر، وقد لاحظ ابن الأثير (45) في مقدمة نهايته ذلك فقال: "ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة... فيجيء شرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم، فتزد الكلمة في غير حرفها، وإذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها".

وتتوالى بعد ذلك المصنفات مختارة منهج الترتيب الهجائي وفق الحرف الأول، ويعد كتاب أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الحوزي (46) المتوفى سنة 597هـ من أهم المصنفات في القرن السادس، وكان يأمل - كما ذكر في مقدمته - (47) أن يعني كتابه عن جميع ما صنّف في ذلك، وقد اعتمد اعتماداً كبيراً على كتاب الهروي.

وأخر مصنف من المصنفات المهمة هو: "مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" للشيخ محمد طاهر الصديقي الفتي (48) المتوفى سنة 986هـ، وقد سار فيه على منهج الترتيب الهجائي وفق الحرف الأول، وهو المنهج الذي استقرت عليه المؤلفات في هذا الفن، وقد أفاد من التراث الضخم الذي تركه السلف في غريب الحديث والأثر، ويُقَرَّر في مقدمته (49) بأن كتاب "النهاية" كان أصلاً له "ولم أعادر منه إلا ما ندر أو شاع بينهم وانتشر، وأضمت إلى ذلك ما في ناظر عين الغريبيين من الفوائد، وما عثرت عليها من غير تلك الكتب من الزوائد"، وقد وضع الفتي رموزاً لبيان ما اقتبس من كل مصدر من المصادر التي أشار إليها في مقدمته، وجاء كتابه في خمسة مجلدات كبيرة.

فوجه، وستن أبي داود والترمذي يسماعه من ابن سكتة، وستن التساني، أخبرنا يعيش بن صدقة عن ابن محبوبه. (67)

انتقل المبارك إلى الموصل سنة 565هـ، وتولى الخزانة لسيف الدين غازي بن مسودود بن رنكي، كما اتصل بالأمير مجاهد الدين قانماز بن عبدالله الزيني، وولي ديوان الإنشاء، ولم يزل في الموصل إلى أن مات (68)، ولكنه كان ينتقل في الولايات، وتفرغ للكتابة في فترة مرضه، وكان يغشاه الأكابر والعلماء (69) مؤلفاته:

ترك المبارك قدراً كبيراً من المؤلفات العلمية (70)، وقد صنّف معظم كتبه في مدة مرضه، وكان عنده جماعة من الطلبة، يُعينونه عليها في الاختيار والكتابة (71)، منها:

- "منال الطالب في شرح طوال الغرائب" وهو مطبوع، والكتاب في شرح ما اختاره من الأحاديث المطولة العربية.

- "جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم" جمع فيه بين الكتب الستة، ورثه على حروف المعجم، وهو مطبوع.

- "الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف" وهو في التفسير أخذ من تفسير السعدي والزمخشري.

- "المصطفى المختار في الأدعية والأذكار".

- "المختار من مناقب الأخيار".

- "الشافى في شرح مسند الشافعى".

- "النهاية في غريب الحديث والأثر" وهو الكتاب الذي ندرسه، وقد زعمه أهل الفن بأنه لم يُعهد نظيره في بابه (72) وقد قال فيه السيوطي (73) "وهو أحسن كتب الغريب، وأجمعها، وأشهرها، وأكثرها تداولاً"، وقد كان له قول وسيورة، ونظمه شعراً (74) إسماعيل بن محمد بن بردس البعلبي المتوفى سنة 785هـ، وسمّاه "الكفاية في نظم النهاية"، كما كتب صفى الدين محمود الأرموي (75) المتوفى سنة 723هـ عليه ذيلاً، كما أن للسيوطي ذيلاً عليه بعنوان "التدليل والتدنيب على نهاية الغريب"، وهو مطبوع.

وفاته:

توفي أبو السعادات في مدينة الموصل يوم الخميس في ذي الحجة سنة ست وستمئة، ودفن

برباطه في درب درّاج. (76)

2- منهج ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث والأثر"

اجتمع لابن الأثير قدرٌ غزيرٌ من نصوص الحديث والأثر، تحتاج إلى بيان ما فيها من غريب، كما تحتاج إلى منحنى تنظيمي دقيق يجعل التعامل معها مسوراً في مرحلة جمعها، ثم تحريرها وضبط الإحالة عليها، وفيما يعقب ذلك من مرحلة الإفادة منها، والعودة إلى مادة منشودة منها، ويتضح لنا منهجه في "النهاية" من خلال المعالم التالية:

1- إن اختيار منهج محدد يبدو أمراً لازماً، ولاسيما أن طائفة من مصنفات "غريب الحديث" من قبله تفتقد المنهج الميسر المتّرد في تنظيم مادتها، ويعتورها ضرورياً من العسر في استخراج حديث منها، فهل ينثر مادته من غير ترتيب معين، أو يذكر غريبه وفق المسانيد، كما هي طريقة أبي عبيد وابن قتيبة في مصنفهما المتقدم: "غريب الحديث"، أو وفق طريقة النقايب والمخارج، كما هي طرف من طريقة أبي إسحاق الحربي في غريبه، أو وفق ترتيب الحروف الهجائية: أ، ب، ت، ث، ابتداءً من الحرف الأخير للكلمة، ثم العودة إلى الحرف الأول، كما هي طريقة الجوهري في "صاحده"، أو وفق ترتيب الحروف الهجائية من الحرف الأول للكلمة، كما هي طريقة الهروي في "العربيين" والزمخشري في "الفائق"؟

لا ريب أن خبرة الواسعة في الصناعة المعجمية التي عجمت عود مؤلف في القرن السابع، كابن الأثير، منحه خبرة واسعة في معالم كل طريقة ومحاسنها، وجعلته يُرجح الطريقة الأخيرة، فهي يسيرة تتجاوز الصعوبات التي قد تكتنف الطرق الأخرى، فنثر المادة من غير ترتيب لا يقره أحدٌ لعسر استخراج المادة المنشودة، وقد لا يُدرك المراجع اسم الصحابي الراوي للحديث الغريب، كما أنه قد يجتهد طويلاً في قراءة مسند معين للوقوف على حديث منشود، كما أن طريقة النقايب والمخارج بما تحمله من صعوبة استخراج الغريب منها تجعله يتجنبها.

فقد اعتمد ابن الأثير على ترتيب المادة وفق الحروف الهجائية، وقد كان تحت هذا الترتيب ثلاثة اتجاهات معجمية:

أ- قسمة من يُرجح اختيار الحرف الأخير من الكلمة بعد تجريدتها من الحروف الزائدة، ورذ الحرف الأصلي المحذوف. ثم العودة إلى الحرف الأول من الكلمة.

ب- وثمة من يرجح اختيار الحرف الأول ابتداءً، ثم الحرف الثاني فالثالث، لأنه يحقق سهولة

وسرورة مباشرة في تصور اللفظ المشوّد، وهذا الترجيح في اختيار الحرف الأول هو الذي مضى عليه ابن الأثير.

ج- أمّا الاتجاه المعجمي الثالث الذي عزف عنه صاحب "النهاية" فهو: أن الحديث الواحد قد يتضمن أكثر من مفردة عربية، فهل يسرد النص كاملاً وفق الترتيب المجاني لأول لفظ غريب، ثم يذكر اللفظ الغريب الثاني في الموضع نفسه، كما فعل الزمخشري في "فائقه"، أو يوزع نص الحديث إلى مقطعات عديدة، فيذكر كل لفظ غريب وفق ترتيبه المجاني الأول؟ وهو الذي اختاره ابن الأثير.

إن اختيار ابن الأثير لهذا المنهج المعجمي الدقيق يجعله يتجاوز مظاهر العسر التي تكتنف الطرق الأخرى، فطريقة المسانيد يصعب معها الاهتداء إلى الموضع المطلوب، ولا سيما إن جهل المراجع اسم صاحب المسند، ولو عرفه لتعب في الوصول إليه، من خلال عشرات الأحاديث، التي يرويها ذلك الصحابي، وإن كان لدينا فهارس حديثة كاشفة، احتاج المراجع إلى الوقوف على أحاديث كل مادة ليصل إلى مبتغاه من حديث معين. وفي ذلك هذرٌ كبير للوقت والجهد. أمّا طريقة التقاليد والمخارج فقد ثبت من خلال تجربة الخليل في كتاب "العين"، والحري في "غريبه" أمّا وغرة لا تتكشف المادة معها إلا بعد تعب ونصب. وأمّا طريقة الزمخشري في "فائقه" فتتمر بسهولة لأنها تعتمد الحروف المجانية، بيد أن المراجع قد يجهل أول الحديث، فلا يتبين له موضع الغريب الأول الذي شرع فيه الزمخشري لجعله منطلقه. فيشر ما فيه من غريب، وذلك لأن مادة الغريب في الحديث الواحد متعددة.

إن الطريقة التي توخاها ابن الأثير في معجمه "النهاية" تجعل من يقف على عتبته يصل إلى مبتغاه على نحو مسور. فلا يلزمه إلا أن يجرد اللفظة العربية من زوائد، أو يرذّلها الحرف الخدوف الأصلي. ثم يمضي في الوصول إلى الحرف الأول منها فالثاني، فالثالث، وفق ترتيب الحروف المجانية المعهود: أ، ب، ت، ث. وقد رافق هذا الاختيار معالم كثيرة لتيسر تناول معجمه، كما سيتبين لنا في تفصيل منهجه.

يبدأ معجم ابن الأثير بحرف الهمزة، ويندرج تحته عنوان بارز: "باب الهمزة مع الباء"، وتحت هذا العنوان مادة أبب، ثم مادة أبد، ثم مادة أبر، فمادة أبس، فمادة أبض، وهكذا تبقى ويراعي ترتيب الأوائل فالتواني فالتوالث داخل المادة الواحدة إن توافرت معها مادة من

الأحاديث تُوفى ذلك.

2- دأب ابن الأثير على أن يكتفي بشرح اللفظة العربية التي تدخل في المادة اللغوية التي عقدها، فإن ورد غريبان أو أكثر في الحديث نفسه اكتفى بغريب الباب، وإن أراد المراجع معرفة باقي غريب الحديث الذي أورده فليتبّع مظانّه في سائر المواد وفق حروفه الهجائي، بيد أن ابن الأثير في أحيان نادرة يضطر إلى شرح ألفاظ الحديث مجمعة "فإنه إذا فرّق لا يكاد يفهم الغرض منه".

3- وقد يرى أحد علماء الغريب رأياً في جذر لفظية من ألفاظ الغريب، فيورد ابن الأثير المادة اللغوية وفق مذهب من يخالفه، ويُعقب على ذلك بما يراه من وجهته صحيحاً، فقد أورد حديث حذيفة (77) "لَتَبْتَلُنَّ لَهَا إِمَامًا" أي: لَتَخْتَارُنَّ، ثم قال: "هكذا أورده الهروي في هذا الحرف، وجعل أصله من الابتلاء: الاختيار، وغيره ذكره في الباء والتاء واللام، وكأنه أشبه". وقد يكون للفظ الغريب روايتان أو أكثر، فيحرص ابن الأثير على ذكر هذه الروايات مكررة بحسب مواردها اللغوية، بناءً على أن المراجع قد يستحضر رواية معينة، ولا يستحضر غيرها، فيعود إلى موضعها ليحدها. فقولته صلى الله عليه وآله وسلم (78): "أعوذ بك من الخور بعد الكون" شرحه في مادة (كون) ثم قال: "ويروى بالراء: الكور، وقد تقدم" (79).

4- ومن الطبيعي أن تحظى بعض المواد اللغوية بغزارة أحاديثها وشواهداها، واختلاف دلالتها واستعمالاتها ومقاصدها، فتجد في المادة اللغوية الواحدة عشرات النصوص من أحاديث الغريب، وذلك من مثل: هود، خلف، ركب، دين، دخل، سمع، وفي مقابل ذلك قد لا يتوافر في بعض المواد أكثر من حديث غريب واحد في المادة من مثل: رصح، رصغ، رتت، رتم، رثا. وقد يورد مادة لغوية ولا يذكر ضمنها أي حديث، وإنما يشير إلى تكرار ذكر لفظ معين، فيتحدث عنها مفردة، كقوله في "هلم" (80): "قد تكرر في الحديث ذكر 'هلم' ومعناه: تعال، ومنه لغتان، فأهل الحجاز يُطلقونه على الواحد والجمع والاثني والمؤنث، بلفظ واحد مني على الفتح، وبنو تميم تُنثي وتجمع وتؤنث فنقول: هلمّ وهلمتي وهلمّا وهلمّوا".

5- ومن معالم منهجه أنه يحرص على تعيين موارده التي يستقي منها، وذلك شأن الخلق الذي يسر هذه الموارد. ويقف على أقوال صاحبها، ليتمكن المراجع من مراجعة المسائل العلمية في مظانها، ويدرس ما هو مبثوث فيها من أقوال، ففي الحديث (81) "أناكم أهل اليمن هم أرقأ

قلوباً وأبغع طاعة"، يقول: "أي: أبلغ وأنصح في الطاعة من غيرهم، قال الزمخشري: "هو من بضع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها ويبلغ بالذبح البخاع -الباء- وهو العرق الذي في الصلب، والتخع بالنون دون ذلك هكذا ذكره في كتاب "الفاثق في غريب الحديث"، وكتاب "الكشاف" في تفسير القرآن، ولم أجده لغيره، وطالما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد البخاع بالباء مذكوراً في شيء منها".

وقد يُعَيَّن موارده من خلال تحديد المصنف الذي أخرج الأثر، فقد أورد حديث (82) ابن عباس -رضي الله عنه- "أرض الجنة مسلوقة". ثم قال: "هكذا أخرجه الخطابي والزمخشري عن ابن عباس، وأخرجه أبو عبيد عن عبيد بن عمير الليثي، وأخرجه الأزهري عن محمد بن الحنفية".

ومن الطبيعي أن يستقي ابن الأثير حُلَّ النصوص التي يستشهد بها على مادته اللغوية، من الحديث الشريف نفسه، وكان من منهجه أن يسوق شواهد عديدة منه، تتفق وحديث الباب، الذي انطلق منه، وكان يحرص على بيان الصلة التي تربط بين هذه الشواهد، ففي مادة (حثل) يورد حديث (83): "لا تقوم الساعة إلا على حثالة من الناس"، ثم يقول: "الحثالة الرديء من كل شيء"، ومنه الحديث: "كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس" يريد: أراذلهم، ومنه الحديث: "أعوذ بك من أن أبقي في حثل من الناس".

ولم يكن ابن الأثير يحرص على أن يستشهد على معنى الغريب الذي عقد له المادة اللغوية بالقرآن الكريم، ومن هنا ندرت الشواهد القرآنية في "النهاية".

ومن ذلك استشهاده بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بُدْءَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ الإسراء-20، على مادة الخطر بمعنى الميع (84)، واستشهاده بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ يوسف-80، على مادة (خلص) (85) أي: تميزوا عن الناس متاجرين.

وقد يركن إلى بعض القراءات المتواترة أو الشاذة ليحلي المعنى الذي يذهب إليه في شرح غريبه، ففي مادة (طيف) يقول (86): "وأصل الطيف الحنون، ثم استعمل في الغضب ومن الشيطان ووسوسته. ويقال له: طائف، وقد قرئ بهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف-201 (87).

أما شواهد من الشعر العربي الفصيح، فقد عني بما ابن الأثير عناية واضحة، وكان يوردها في

المادة اللغوية التي عقدها، فيشرحها أو يوردها ليؤكد معنى ذهب إليه في شرح غريبه، ومن ذلك قوله في مادة (بدر) في حديث المعث "فرجع بها ترجف بوادره" (88)، هي جمع بادرة، وهي لحنمة بين المنكب والعنق، والبادرة من الكلام الذي يسبق الإنسان إليه في الغضب، ومنه قول النابغة:

ولا حير في حلم إذا لم تكن ل
بوادر تحمي صفوه أن يكذرا

وعن الإشكالية التي أشرت إليها في المقدمة، والمتعلقة بسبب تسمية أصحاب المصنفات كتبهم "بالغريب"، مع أن مادة "غريب" لا تختزن في مضامينها معنى الشرح والتفسير والتوضيح؛ واستناداً إلى ما سبق من أمثلة وشواهد، يلاحظ أن اسم "غريب" قد أطلق على الألفاظ اللغوية في مجال من مجالات المعرفة الموضوعية للشرح، كالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ ولم يقع التمييز فيها بين عربي فصيح وغريب نادر، أو غريب مستغلق نافر، وعليه فيكون مقصودهم في هذا الباب المعنى العام، وهو "شرح أو تفسير ألفاظ القرآن"، و"شرح ألفاظ الحديث"، وتوضيح ذلك فما يلي:

1- إن محتويات مؤلفات "الغريب" ليست من الغامض النافر، بل مما عرفه العربي واستعمله ووعاه، بقوي ذلك المقولة التي كان يوردها ابن عباس في تفسير مواده، وهي "هل تعرف العرب ذلك؟"، ومن شواهد تفسير "الوسيلة" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ المائدة-35، قال ابن عباس رداً على نافع "الحاجة" (89)، ثم سأله: "أتعرف العرب ذلك؟"، أجابه: نعم، أما سمعت عنزة العبسي، وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك فكحلي وتخصي (90)

2- إن بعض ما جاء في كتب الغريب هو من الألفاظ العامة التي يشترك في معرفتها جمهور أهل اللسان العربي، وهو مما يدور في الخطاب، تناقلوه فيما بينهم وتداولوه، وتلقفوه منذ الصغر لضرورة التفاهم من أدلة ذلك ما أثبتته الراغب الأصفهاني في غريبه، من نحو "غنم" قال في تفسيره: "الغنم معروف، قال الله تعالى: "ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم شحومهما" الأنعام -146، والغنم إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظهر به من جهة العدى وغيرهم (91)، فهل هذا غريب مستغلق؟

3- إن إطلاق مصطلح "غريب" على ما جاء في القرآن يتناقض مع البيان الإلهي لأن ما جاء في القرآن فصيح بعيد عن الغرابة والشواذ، مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء-195 وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف-2، وكذلك ما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم أنا أغربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد (92). فهل لغة القرآن غريبة مبهمة، أم ما أودع في كتب الغريب قصد به شرح المفردات وتفسيرها؟

4- إن أصحاب مصنفات "الغريب" قصدوا تفسير الألفاظ حقيقة لا البحث عن الغريب في عرف البلاغيين كما توحي التسمية، بقوي ذلك اعتراف أصحاب المصنفات أنفسهم في حقيقة عملهم. قال الراغب الأصفهاني في مقدمة غريبه، يوضح خطته ويصور منهجه: "وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل معاوني في بناء ما يريد أن يبينه... وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فتقدم ما أوله الألف ثم الباء" (93).

ويشبهه ما نقل عن أبي عبيد في مقدمة كتابه: "عن ابن عباس أنه كان يسأل عن القرآن فيشد فيه الشعر - قال أبو عبيد - يعني كان يستشهد على التفسير" (94). ففي كلام ابن عباس دليل على أن المقصد شرح مفردات القرآن، وتفسيرها تفسيراً لغوياً، مستشهداً على ما يقوله بالشعر العربي القديم" (95).

5- إن عمل أصحاب الغريب عمل معجمي، غاية شرح معاني المفردات وتوضيحها بعامية، لا حصر الغريب، يصدق ذلك قول ابن قتيبة في مقدمة غريبه: "قد كنت زماناً أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث، وأن الناظر فيه قد يستغنى به، ثم تعقت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما تركته نحواً مما ذكر أو أكثر منه، فتبعت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر... وأشيعت ذلك بذكر الاشتقاق والمصادر والشواهد من الشعر، وكرهت أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها، وأحاديث السلف وألفاظهم ما يشاكل الحديث أو يوافق لفظه لفظه، لتكثر فائدة الكتاب، ويجمع قارئه ويكون ذلك عوناً على معرفته وتحفظه" (96).

ولا شك أن العلماء الذين ألفوا في "الغريب" لم يجهلوا معنى الغريب، ولكن هناك ملايسة يمكن على ضوءها تفسير مذهب العلماء في هذه التسمية، وهي:

1- إن ألفاظ العربية، بعد اجتماع العربية في لغة قريش، لم تحل الدلالة الواحدة عند القبائل المختلفة، فقد تحمل لفظة معنى في قبيلة، ومعنى مخالف في أخرى، ويتجلى هذا الاختلاف في مادة "قراء" قال الميرد: أهل الحجاز يرون "الإقراء" الطهر، وأهل العراق يرونها الحيص، وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الأطهار (97)، ولهذا اعتور العربية الإغراب والكل، نتيجة اجتماع القبائل، فللفظة تداول على لسان قوم، تعتبر غريبة لدى قوم آخرين، وقد ألح ابن فارس إلى ذلك، قال: "كل هذه اللغات مسماة منسوبة وهي وإن كان لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل، ومن الاختلاف اختلاف التضاد، وذلك قول جرير للقائم: تب أي اقعذ" (98).

2- إن العرب، في أحيان كثيرة، لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً، وبخاصة عندما تتكلم كل قبيلة لغتها الخاصة بها، لأن كل لغة تختلف عن غيرها من لغات القبائل بأمور (99) يدعم ذلك ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يخاطب وفد بني تميم، قال: "يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: "أذني ربي فأحسن تأديبي، وزبيت في بني سعد"، فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وتبين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم، كلاماً منهم بما يفهمون، ويخاطبهم بما يعلمون" (100).

واستناداً إلى هذه الملايسة اللغوية الحاصلة من اجتماع القبائل العربية، وبخاصة بعد الإسلام، أصبحت اللفظة المتداولة في وسط عربي، غريبة لدى الآخرين، ومن هنا يبرز سبب استعمال مصطلح "غريب" في أسماء المصنفات، فالغريبة نسيية، ولهذا يمكن القول إن حد الغرابة في اللفظة يتغير بتغير القبيلة، فما تصدق عليه الغرابة من الألفاظ في قوم وعصر لا تصدق عليه في قوم آخرين.

وجملة القول: فإن من أعظم ما ابتكره العلماء لحماية اللغة والحفاظ عليها حية نامية متطورة، تأليف المعاجم، في مختلف اللغات، وفي مختلف التخصصات، تحفظ مفرداتها وألفاظها، وتنوّل تفسيرها وتوضيحها، وتكفل بيان صور استعمالها، وتمييز الأصل من الدخيل، ومن هنا جاءت الحاجة إلى تصنيف المعاجم وقواميس اللغة على مختلف أنواعها وأشكالها ومناهجها.

والعلماء الذين اعتنوا بغريب الحديث، يكونون قد ساهموا مساهمة نوعية في صناعة هذا النوع من المنهج الفكري المتعلق بالمعجمية، وتميزت جهودهم بالمتابعة والتواصل والتكامل. بهدف خدمة الباحث، في مجال اللغة عموماً، والحديث الشريف خصوصاً، بما يعني حصيلة اللغوية وينميتها، ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء، وفي مجالات الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، وفي مجالات التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي.

المهام:

- 1- أنظر: العين، الخليل بن أحمد، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1980، ص. 709، ولهذيب اللغة، الأزهرى، در إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد عوض مرعب، ط 1، 2001م، 112/8، وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق زمزي العليكي، ط 1، دار العلم للملايين، 1987م، 268/1، وتاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثالثة، مكة المكرمة، 1982 م 191/1، والفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، 1412 هـ 1992م، 604، ولسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ط 1، 1410 هـ - 1990م، 637/1، وتاج العروس: (غرب) 3/ 456، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، (د.ت. در) 653
- 2- اختصار علوم الحديث، لابن كثير، ومعه الباعث الحثيث للشح أحمد شاكر، ص: 141، ط دار التراث، ط 3، 1979/1399
- 3- التفرغ للإمام النووي، مع تدريب الراوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1392 هـ - 1972م، 184/2
- 3- التفرغ، 185/2
- 4- تدريب الراوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1392 هـ - 1972م، 185/2
- 5- نحة الفكر، ص: 47-48، ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط 3، د.ت
- 6- التفرغ للإمام النووي، 185/2
- 7- تدريب الراوي، 185/2-186
- 8- غريب الحديث، أبو سليمان حمد الخطابي، تحقيق: د. عبدالكريم العزباوي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 68/1
- 9- الإيضاح في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (2/ 55).

- 10- النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد الدين بن الأثير، تحقيق: د. محمود الطاحي، وزميله، باكستان، مطبعة السنة الحميدية، (د.ت. در)، 1/ 5
- 11- وفيات الأعيان، أبو العباس بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د.ت. در)، 342/4
- 12- معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، مكتبة الهلال، بيروت، 1409 هـ 1989م، 121، والرسالة المستطرفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار الشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1993م، ص: 154
- 13- الفهرست، ابن النديم، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، 1988 م، ص: 96، والخطابي، المصدر السابق، 49/1
- 14- الفهرست: ص: 96
- 15- الفهرست: ص: 96
- 16- تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت. در): 12/ 405
- 1- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993م، بيروت 2704/6
- 17- ابن الأثير، المصدر السابق، 5/1
- 18- بغية الوعاة في طبقة اللغويين والشعاع، بغية الوعاة، للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1399 هـ، 294/2
- 19- تاريخ بغداد، 405/12، وأنظر: الفهرست: ص/ 51، و إنباه الرواة على آباء النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1406 هـ - 1986م، 148/4
- 20- معرفة أنواع علم الحديث، ابن الصلاح، تحقيق عبد اللطيف الحشم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2002م، ص: 375
- 21- أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 61/4، وسر أعلام السلا، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1402 هـ 1982 م: 10/ 490، وبغية الوعاة: 2/ 253
- 22- الحاكم النيسابوري، المصدر السابق: ص: 121
- 23- غريب الحديث، عبد الله مسلم بن قتيبة، تحقيق: د. عبدالله الجبوري بغداد، وزارة الأوقاف، 1397 هـ، 150/1، وأنظر: تاريخ بغداد، 12/ 405
- 24- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396 هـ 1976 م، صورة عن طبعة حيدر آباد، الهند، (د.ت. در)، 3/ 208
- 25- أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق: 14
- 26- أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق: 4/ 309
- 27- أبو عبد القاسم بن سلام، المصدر السابق: 4/ 342

- 28- أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق: 488/4.
- 29- أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 170/10، وإنباء الرواة: 143/2، ووفيات الأعيان: 42/3.
- 30- أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 27/6، وإنباء الرواة: 155/1، وسير أعلام النبلاء: 356/13.
- 31- أنظر مقدمة تحقيق كتاب "غريب الحديث"، لأبي إسحاق الحربي، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، 1985 م: 95/1.
- 32- الرسالة المستطرفة: ص 154.
- 33- أنظر ترجمته في: طبقات النحويين، الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر: ص 284، والبعية: 252/2.
- 34- أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 214/2، سير أعلام النبلاء: 23/17، وبعية الوعاة: 546/1.
- 35- غريب الحديث: 46/1.
- 36- أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 146/17، طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تحقيق: د. عبدالفتاح الحلوة، دار إحياء الكتب العربية، مصر: 84/4، وبعية الوعاة: 371/1.
- 37- معجم الأدباء: 1420/3.
- 38- الغريبين، أبو عبد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: د. محمود الطناحي، القاهرة، 1390 هـ 1970 م: 6/1.
- 39- الهروي، المصدر السابق: 6/1.
- 40- اللفق: شقة من شفتي الملاءة.
- 41- أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ: أبو عبدالله الذهبي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت. د.ر): 1334/4، وطبقات الشافعية للسبكي: 160/6.
- 42- النهاية: 9/1.
- 43- انشوع المغيث في غريب القرآن والحديث: الخافظ أبو موسى الأصفهاني المديني، تحقيق: د. عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، 1406 هـ 1986 م: 3/1.
- 44- أنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 151/20، والبعية: 279/2.
- 45- النهاية: 9/1.
- 46- أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 3/140، وسير أعلام النبلاء: 21/365.
- 47- غريب الحديث، أبو الفرج بن الخوزي، تحقيق: عبدالعطي قلججي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985 م: 4/1.
- 48- أنظر ترجمته في الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، 1992 م: 6/172.
- 49- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل و لطائف الأحبار، محمد طاهر الصدفي الهندي الفتي الكجراتي.
- القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1993 م: 1/24.
- 50- أنظر: معجم الأدباء: 5/2268، ووفيات الأعيان: 4/141، سير أعلام النبلاء: 21/488.
- 51- أنظر معجم الأدباء: 5/2268.
- 52- أنظر في مشاهد: معجم الأدباء: 5/2269، طبقات الشافعية: 8/366.
- 53- أنظر ترجمته في: شذرات الذهب في أحوال من ذهب: عبدالخمي بن العماد، مصر، مكتبة القدسي، 1350 هـ: 4/293.
- 54- أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 6/171، وبعية الوعاة: 2/334.
- 55- أنظر ترجمته في: إنباء الرواة: 2/47، ووفيات الأعيان: 2/382.
- 56- أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ: 4/1341، طبقات الشافعية للسبكي: 7/119.
- 57- أنظر ترجمته في: وفيات الأعيان: 3/227، شذرات الذهب: 4/327.
- 58- أنظر ترجمته في: إنباء الرواة: 3/320، وبعية الوعاة: 2/299.
- 59- أنظر ترجمته في: شذرات الذهب: 5/25.
- 60- أنظر ترجمته في: وبعية الوعاة: 2/212.
- 61- أنظر ترجمته في: البداية والنهاية: 17/326.
- 62- أنظر: سير أعلام النبلاء: 21/490.
- 63- أنظر: سير أعلام النبلاء: 21/490، طبقات الشافعية: 8/366.
- 64- أنظر: طبقات الشافعية: 8/366.
- 65- أنظر: طبقات الشافعية للسبكي: 8/367.
- 66- أنظر: معجم الأدباء: 5/2269، سير أعلام النبلاء: 21/490.
- 67- أنظر: سير أعلام النبلاء: 21/488.
- 68- أنظر: معجم الأدباء: 5/2268.
- 69- أنظر: وفيات الأعيان: 4/142.
- 70- أنظر: معجم الأدباء: 5/2270، وفيات الأعيان: 4/141، سير أعلام النبلاء: 21/491.
- 71- وفيات الأعيان: 4/142.
- 72- مفتاح السعادة: 1/125، وانظر: شرح نحة الفكر لابن حجر: ص 504.
- 73- الرسالة المستطرفة: ص 156.
- 74- أنظر مقدمة تحقيق النهاية: 1/8.
- 75- كشف الظنون، حاسي خليفة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (د.ت. د.ر): 2/1989.
- 76- أنظر: معجم الأدباء: 5/2270، وفيات الأعيان: 4/141، سير أعلام النبلاء: 21/491.
- 77- النهاية: 1/156، والغريبين: 1/210.

78-النهاية: 4 / 211

79-النهاية: 4 / 208

80-النهاية: 5 / 272

81-النهاية: 1 / 102

82-النهاية: 2 / 390

83-النهاية: 1 / 339

84-النهاية: 1 / 405

85-النهاية: 2 / 61

86-النهاية: 3 / 153

87-وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي، أنظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي صيف، الطبعة الثالثة، مصر، دار المعارف، (د.ت. د.ر.) ص: 301، وحجة القراءات، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زحلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1982م، ص: 305.

88-النهاية: 1 / 106

89-عرب القرآن في شعر العرب، عبد الله بن عباس، سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس، تحقيق محمد عبد الرحيم واحمد نصر الله، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1993م، ص: 29.

90-عشرة الديوان وتحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م، ص: 273.

91-المفردات، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، 1412هـ - 1992م، ص: 366، مادة (غيم).

92-ابن سعد: الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت، د.ت. د.ر.)، 113/1، وفي السيرة النبوية "أنا أعربكم، أنا قرشي استرضعت في بني سعد بن بكر"، ينظر ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار القلم، بيروت، لا.تا، (176/1).

93-الراغب الأصفهاني، المفردات في عرب القرآن، ص: 6

94-السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973م، (1-119-120).

95-محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص: 147.

96-ابن فيبة: غريب الحديث، تحقيق: د. عبد الله الجوري، وزارة الأوقاف، بغداد، 1976-1977م، (5/1).

97-البرد الكامن، تحقيقه وعلق عليه د. محمد أحمد الداني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ - 1993م، (1-360-361).

98-أحمد بن فارس: الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى الشويخي، مؤسسة أ.بدران، بيروت، 1964م، (ص: 50-51).

99-عقد ابن فارس فصلاً في كتابه أوضح فيه وجود اختلاف لغات العرب، يراجع، أحمد بن فارس: المصدر السابق، ص: 48-50.

100-ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، (4/1).